

وهذا ما يفسر لنا خلو الشعارات السياسية التي طرحها في منتصف القرن الثالث عشر انصار البابا وانصار السلطة الامبراطورية ، من أي محتوى ايجابي . لقد نشأت الأحزاب في العديد من المدن وعم الصراع السياسي بين الطبقات جميع ارجاء ايطاليا التي انقسمت إلى معسكرين : معسكر يدافع عن عصر بات من مخلفات الأساطير ويناضل في سبيل اقامة جمهورية اقطاعية - ديمقراطية من نوع خاص مطلقة السلطة ، ومعسكر يدافع عن نظام جديد للأشياء ويناضل في سبيل اقامة جمهورية التجار والحرفيين . وقد حظي هذا النضال الاقتصادي والاجتماعي ، الذي اعتمد فيه المعسكران اساليب العنف وتناوبا النجاح والفشل ، بتأييد البابوات والملوك الأجانب الذين كانوا يلمون بتجسيد المثل الأعلى في القرون الوسطى وهو انشاء المملكة الرومانية العالمية . وأدت الظروف الداخلية المتميزة إلى انشقاق الحزبين الرئيسيين في فلورنسا وانقسامهما فدانتي مثلا ، كان ينتمي إلى انصار الجمهورية (وبعبارة أدق ، إلى الجناح المسمى بالجناح « الأبيض » منهم) والذي تقوده في فلورنسا اسرة تشيكي ، وكان إلى جانب هذا الجناح جناح « اسود » يقوده آل دوناتي الذين استخدموا اساليب نضال الارستقراطيين فاجتذبوا إلى جانبهم الحرفيين والمزارعين الصغار الذين لم يكونوا يفهمون الأمور السياسية فهماً جيداً . وساعدهم هذا الوضع في الحصول على تأييد البابا بونيفاس الثامن فحرموا بذلك الجناح الأبيض المعتدل كل نفوذ . أما الأبيض ، فقد اعتمدوا على الورشات الكبيرة وسعوا لجعل فلورنسا في وضع مستقل عن البابا والارستقراطية .

استخدم بونيفاس الثامن الانقسام بمهارة ، فأرسل كارل فالوا ، أخا الملك الفرنسي فيليب الجميل إلى فلورنسا في مهمة سلمية ، فكان وصوله بمثابة الضوء الأخضر لأنصار الجناح الأسود فشرعوا في شن حملة من الارهاب ضد الجناح الأبيض .

في هذه الأثناء كان دانتي يمثل مصالح حزبه في الحرم البابوي (كانون الثاني ١٣٠٢) فقدمه انصار الجناح الأسود في فلورنسا إلى المحاكمة متهماً بالرشوة والفساد والتآمر على الكنيسة وحكموا عليه بالنفي مدة عامين وبغرامة كبيرة وحرمت عليه المحكمة شغل المناصب العامة . وبسبب عجز دانتي آنذاك عن الاعتراض قرر القضاة نفيه إلى الأبد وحرقه في حال مخالفته الحكم وظهوره في فلورنسا .

آلم هذا الحكم الجائر دانتي أشد الايلام . لقد كان قرار القضاة ظلماً إلى اقصى حد وكان اهانة وقحة لجهود دانتي التزيهة واندفاعه المخلص في خدمة مدينته الحبيبة فلورنسا .